سلسلة الرسائل (٨٤)

تعلق القلب بالله دون ما سواه

للشيخة أم عبد الله بنت الشيخ
مقبل بن هادي الوادعي
حفظها الله تعالى

الوادعية
١٤٤٨هـ

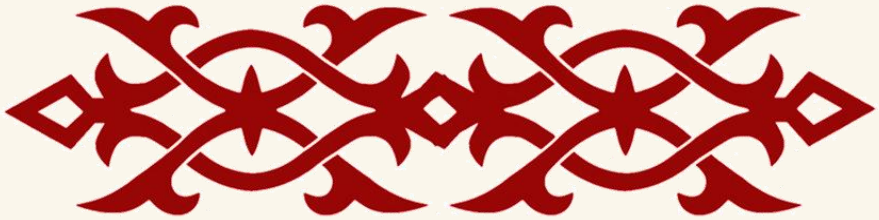

روابط الشيخة عبر منصات التواصل

https://alwadei967.blogspot.com

https://t.me/alwad3ya

https://t.me/alwadeia2

https://whatsapp.com/channel/0029VaaQ6kF9Bb5seBKp2B18

https://chat.whatsapp.com/JxvDfXpwWyHBLYrPjEOPpS

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا إلى يوم الدين.

أما بعد:

إننا في أشد الحاجة إلى أن نعلق قلوبنا بالله وحده، دون أحد سواه، يقول الله ﷻ في كتابه الكريم: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾ [الطلاق: ٣]، فمن توكل على الله ﷻ كفاه الفتن والابتلاء، وحفظه من كيد الأعداء، كفاه ممن قال الله تَعَالَى فيهم: ﴿إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ﴾ [الأعراف: ٢٧]، وتولاه ورعاه، ﴿وَٱعْتَصِمُوا۟ بِٱللَّهِ هُوَ مَوْلَىٰكُمْ ۖ فَنِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ ﴿٧٨﴾﴾ [الحج: ٧٨].

ومن تولَّى اللهَ تولَّاهُ اللهُ، وما أحسن ما قال ابن القيم رحمه الله:

وإذا تولاه امرؤٌ دون الورى... طُرًّا تولاه العظيم الشان

إن اعتماد القلب على الله ﷻ فلاحٌ وسعادة، وتعلقه بالمخلوقين هلاك وشقاوة، فعلينا أن نعلق قلوبَنا بالله ﷻ لا بالبشر كائنًا من كان؛ لأن الضُّر والنفع بيد الله الخالقِ الرازق المدبِّر المانع المعطي، ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٥٤﴾﴾ [الأعراف:٥٤]، الملك ملكه، والفضل فضله، والخير خيره.

إنَّ من علَّق قلبَهُ بربِّهِ فإنه لا يعتمد على مخلوقٍ ضعيفٍ، على من خُلِقَ من ماءٍ مَهين، على من ليس بيده ضر ولا نفع ولا موت ولا حياة ولا نشور، قال الله ﷻ في كتابه الكريم: ﴿مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ۖ وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ﴾ [فاطر: ٢]، وقال سُبحَانَهُ: ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ ۚ يُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٠٧﴾﴾ [يونس: ١٠٧]، وقال سُبحَانَهُ: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۚ قُلْ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَنِىَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَٰشِفَٰتُ ضُرِّهِۦٓ أَوْ أَرَادَنِى بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ

مُمْسِكَٰتُ رَحْمَتِهِۦٓ قُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ ۖ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴿٣٨﴾ [الزمر: ٣٨].

اعتماد القلب على الله ﷻ توحيد وعبادة، قال تَعَالَى: ﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِۦ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ ٱلضُّرِّ عَنكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا ﴿٥٦﴾ [الإسراء: ٥٦].

أي: هؤلاء المدعُون من دون الله لا يملكون إزالةَ الضر ورفعه، ﴿وَلَا تَحْوِيلًا ﴿٥٦﴾﴾، وهذا يشمل أمرين:

تحويله من مكان إلى مكان ومحلٍّ إلى مَحَلٍّ، كتحويل عضوٍ إلى مكان آخرَ، أو إنسان إلى إنسان آخر، أو بلدٍ إلى بلدٍ أخرى.

أو صفة إلى صفة وحالٍ إلى حالٍ آخر، كتحويل السعادة إلى نكدٍ وشقاوة، والغِنى إلى فقر، واليسر إلى عسر؛ فهؤلاء المدعُون من دونِ الله ﷻ لا يملكونه، إنما هو بيد الله سُبحَانَهُ.

قال شيخ الإسلام في «مجموع الفتاوى»(١٥/٢٢٦): فَذَكَرَ نَكِرَةً تَعُمُّ أَنْوَاعَ التَّحْوِيلِ.

إن من تعلق قلبُهُ بالله قوي رجاؤه وأَمَلُهُ بربه، فلا يرجو سواه، ولا يتَّكِل على غيره، ولا يرجو إلا رحمته، ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ ۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا ﴿٥٧﴾﴾ [الإسراء]. وهذا من ثمار تعلق القلب بالله الإقبال على طاعة الله، والتنافس في القرب منه تبارك و تَعَالَى.

قال السعدي رحمه الله تَعَالَى في «القول السديد شرح كتاب التوحيد»(١٢٠) بعد أن ذكر نحوًا مما تقدم: فبعد هذا العلم يعتمد بقلبه على ربه في جلب مصالح دينه ودنياه، وفي دفع المضارِّ، ويثق غاية الوثوق بربه في حصول مطلوبه، وهو مع هذا باذلٌ جُهْدَهُ في فعل الأسباب النافعة.

فمتى استدام العبد هذا العلمَ وهذا الاعتماد والثقة، فهو المتوكل على الله حقيقةً، وليبشر بكفاية الله له وَوَعْدِهِ للمتوكِّلين، ومتى عَلَّق ذلك بغير الله فهو شرك، ومن توكَّلَ على غير الله، وتعلق به، وُكِلَ إليه وخاب أمله. اهـ.

ومن تعلق قلبه بغير الله يُخشى عليه من سوء الخاتمة، فهناك من كان في آخر لحظَاتِ حياتِهِ، وهو يعد الفلوس، وفي آخر لحظات عمره-ممن ابتُلي

بالعشق-وهو يذكُرُهَا ويرددها على لسانه، يعني: يأتيه سكرات الموت ولا يتذكر إلا ما تعلق قلبُه به.

وتعلق القلوب بغير الله بابه واسع غير ما تقدم، من ذلك:

تعلق القلب بالأسباب كالتجارات والعلاجات، يتعلق قلبه بها، ولا يتعلق قلبه بالله سُبحَانَهُ، وهذا شرك، روى الإمام أحمد(٢٨/ ٦٣٢)عن عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ، يَقُولُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «مَنْ تَعَلَّقَ تَمِيمَةً، فَلَا أَتَمَّ اللهُ لَهُ، وَمَنْ تَعَلَّقَ وَدَعَةً، فَلَا وَدَعَ اللهُ لَهُ»(١).

إن تعلق القلب بالدنيا ومكاسبها، حتى تشوش عليه، وتسيطر على أفكاره، كدحًا وسعيًا ووقتًا، وهمًّا وغمًّا، نقصٌ في التوحيد، يقول الله ﷻ في كتابه الكريم: ﴿فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ۝٣٧ وَءَاثَرَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ۝٣٨ فَإِنَّ ٱلْجَحِيمَ هِىَ

---

(١) ورواه الإمام أحمد (٢٨/ ٦٣٧) عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ الْجُهَنِيِّ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ أَقْبَلَ إِلَيْهِ رَهْطٌ، فَبَايَعَ تِسْعَةً وَأَمْسَكَ عَنْ وَاحِدٍ، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، بَايَعْتَ تِسْعَةً وَتَرَكْتَ هَذَا؟ قَالَ: «إِنَّ عَلَيْهِ تَمِيمَةً» فَأَدْخَلَ يَدَهُ فَقَطَعَهَا، فَبَايَعَهُ، وَقَالَ: «مَنْ عَلَّقَ تَمِيمَةً فَقَدْ أَشْرَكَ»، وهو في «الصحيح المسند» (٩٤٢) لوالدي رحمه الله.

﴿ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٤١﴾﴾ [النازعات: ٣٧-٤١].

إن هذا عبودية للدنيا، حتى وإن لم يسجد لها أو يركع.

تشغله عن صلاة الجماعة، عن طاعة ربه، فيقع في عبوديتها وهو لا يشعر، روى البخاري (٢٨٨٧) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وعلى آله وَسَلَّمَ، قَالَ: «تَعِسَ عَبْدُ الدِّينَارِ وَعَبْدُ الدِّرْهَمِ وَعَبْدُ الخَمِيصَةِ إِنْ أُعْطِيَ رَضِيَ، وَإِنْ لَمْ يُعْطَ سَخِطَ، تَعِسَ وَانْتَكَسَ، وَإِذَا شِيكَ فَلَا انْتَقَشَ».

في هذا الحديث يدعو النبي ﷺ على من عَبَدَ الدنيا بالهلاك، (تَعِسَ) عثر، (وَإِذَا شِيكَ فَلَا انْتَقَشَ) إذا أصيب بالشوكة لا يخرجها بالمنقاش؛ لأنَّ قلبه تعلق بغير الله، تعلق بحطام فانٍ، ومتاع زائل، ونبينا محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وعلى آله وَسَلَّمَ يقول: «مَنْ كَانَتِ الدُّنْيَا هَمَّهُ، فَرَّقَ اللَّهُ عَلَيْهِ أَمْرَهُ، وَجَعَلَ فَقْرَهُ بَيْنَ عَيْنَيْهِ، وَلَمْ يَأْتِهِ مِنَ الدُّنْيَا إِلَّا مَا كُتِبَ لَهُ، وَمَنْ كَانَتِ الْآخِرَةُ نِيَّتَهُ، جَمَعَ اللَّهُ لَهُ أَمْرَهُ، وَجَعَلَ غِنَاهُ فِي قَلْبِهِ، وَأَتَتْهُ الدُّنْيَا وَهِيَ رَاغِمَةٌ» (٢).

---

(٢) رواه ابن ماجه (٤١٠٥) عن زيد بن ثابت رضي الله عنه، وهو في «الجامع الصحيح» لوالدي رحمه الله (٣٥١).

قال ابن الجوزي ﷺ في «صيد الخاطر»(٢٠٤): ينبغي للمتقي أن يعلم أن الله ﷻ كافيه، فلا يعلق قلبه بالأسباب، فقد قال ﷻ: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾ [الطلاق: ٣].

ومن أصبح وهمه الله تكفل الله بحوائجه. كما قال ابن القيم ﷺ في «الفوائد» (٨٥): إِذا أصبح العَبْد وَأمسى وَلَيْسَ همه إِلَّا الله وَحده، تحمَّل الله سُبْحَانَهُ حَوَائِجه كلهَا، وَحمل عَنهُ كل مَا أهمَّه، وَفرَّغ قلبه لمحبته، وَلسَانه لذكره، وجوارحه لطاعته.

وَإِن أصبح وَأمسى وَالدُّنْيَا همه، حمله الله همومها وغمومها وأنكادها، ووكله إِلَى نَفسه، فشغل قلبه عَن محبته بمحبة الْخلق، وَلسَانه عَن ذكره بذكرهم، وجوارحه عَن طَاعَته بخدمتهم وأشغالهم.

ومِنْ تَعَلُّقِ القلب بغير الله:

تعلقه ببعض الأشخاص، إما بقريب أو بولد أو زوج، يتعلق القلب به حتى يسيطر على مشاعره، ويتغلب على أفكاره، ويستشري في عقله وقلبه،

وعروقه ولحمه ودمه، وهذا من تعلق القلب بغير الله سبحانه، وهو ينافي التوحيد.

حتى إن المرأة لضعفها قد تُفتن؛ لأنها عَلَّقت قلبَها بشخص من الأشخاص، بمخلوق ضعيف، وتأتي الأقدار ويتغير الحال، أو يحصل افتراق، أو انفصال، أو ساءت المعاملة؛ لأن الأمور تتقلب، والقلوب قد تتنافر؛ فإن القلوب بيد الله سُبحَانَهُ، والألفة هي من الله ﷻ، فتنقلب عليها الدنيا رأسًا على عقب، وتضيق بها أرض الله الواسعة، وتتجرع الآلام والمحن؛ لأنها علقت قلبها بشخص وما علقته بالله، فعذبَّها الله به، علقت قلبها بشخص فهُزمت، علَّقت قلبَها به فصارت مأسورة طريحة، قلبها فارغ من كل شيء إلا منه، فوكلها الله إلى نفسها.

ولو سلَّمت الأمر لربِّها، وقالت: الحمد لله، تدبير أمري بيد ربي، لهَانَ الأمر عليها، قال تَعَالَى: ﴿وَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ شَرّٞ لَّكُمۡۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ٢١٦﴾[البقرة].

فما أحوجنا إلى أن نعلق قلوبنا بالله، ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ٢٣﴾ [المائدة: ٢٣].

ان محبة الزوجة لزوجها مرغَّب فيه شرعا، قال سُبحَانَه: ﴿وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنۡ خَلَقَ لَكُم مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ أَزۡوَٰجٗا لِّتَسۡكُنُوٓاْ إِلَيۡهَا وَجَعَلَ بَيۡنَكُم مَّوَدَّةٗ وَرَحۡمَةً إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ ٢١﴾ [الروم:٢١]، ولكن لا يطغى هذا فيتعلق القلب به، ويسيطر على المشاعر، حتى يُنسي التعلق بالله، وعبادته وذكره، فالاعتدال الاعتدال في الأمور؛ فإن هذا سبيل النجاح والسعادة.

ومِنْ تعلق القلب بغير الله:

التعلق ببعض الأصحاب، يحب صاحبًا له محبة زائدة، فما يدري إلا وقد انقلب ذلك الصاحب عليه، فتتكدر عليه حياتُه، وينشغل فكره، وتضعف قوته. وهذا خطأ لعله ليس فيه خير، والله يعوض بأفضل، ﴿وَإِن تَتَوَلَّوۡاْ يَسۡتَبۡدِلۡ قَوۡمًا غَيۡرَكُمۡ ثُمَّ لَا يَكُونُوٓاْ أَمۡثَٰلَكُم ٣٨﴾ [محمد:٣٨].

إن التوكل على الله: هو صدق اعتماد القلب على الله مع الأخذ بالأسباب، فعلينا أن نتوكل على الله ﷻ، فالحال لا يدوم، وانظرن إلى أبي بكر الصديق وموقفه العظيم في الثبات والتثبيت؛ لأنه معلِّق قلبه بالله سُبحَانَهُ، فثبَّت الناس عند أن توفي النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وعلى آله وَسَلَّمَ، وأنه كيف تتعلق القلوب بمن يموت، ولا تتعلق بالحي الذي لا يموت! فجاء رضي الله تَعَالَى عنه وكان في السنح-موضع-، كما روى الحديث الإمام البخاري رحمه الله (٤٤٥٤) عن عَائِشَةَ أَنَّ أَبَا بَكْرٍ رضي الله عنه أَقْبَلَ عَلَى فَرَسٍ مِنْ مَسْكَنِهِ بِالسُّنْحِ، حَتَّى نَزَلَ فَدَخَلَ الْمَسْجِدَ، فَلَمْ يُكَلِّمِ النَّاسَ حَتَّى دَخَلَ عَلَى عَائِشَةَ، فَتَيَمَّمَ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وعلى آله وَسَلَّمَ وَهُوَ مُغَشًّى بِثَوْبِ حِبَرَةٍ، فَكَشَفَ عَنْ وَجْهِهِ ثُمَّ أَكَبَّ عَلَيْهِ فَقَبَّلَهُ وَبَكَى، ثُمَّ قَالَ: بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي وَاللهِ! لَا يَجْمَعُ اللهُ عَلَيْكَ مَوْتَتَيْنِ، أَمَّا الْمَوْتَةُ الَّتِي كُتِبَتْ عَلَيْكَ فَقَدْ مُتَّهَا.

وروى البخاري (٣٦٦٧-٣٦٦٨) عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها، زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، مَاتَ وَأَبُو بَكْرٍ بِالسُّنْحِ-قَالَ إِسْمَاعِيلُ: يَعْنِي: بِالعَالِيَةِ-، فَقَامَ عُمَرُ يَقُولُ: وَاللَّهِ مَا مَاتَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، قَالَتْ: وَقَالَ عُمَرُ: وَاللَّهِ

مَا كَانَ يَقَعُ فِي نَفْسِي إِلَّا ذَاكَ، وَلَيَبْعَثَنَّهُ اللَّهُ، فَلَيَقْطَعَنَّ أَيْدِيَ رِجَالٍ وَأَرْجُلَهُمْ، فَجَاءَ أَبُو بَكْرٍ فَكَشَفَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَبَّلَهُ، قَالَ: بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي، طِبْتَ حَيًّا وَمَيِّتًا، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لاَ يُذِيقُكَ اللَّهُ المَوْتَتَيْنِ أَبَدًا، ثُمَّ خَرَجَ فَقَالَ: أَيُّهَا الحَالِفُ عَلَى رِسْلِكَ، فَلَمَّا تَكَلَّمَ أَبُو بَكْرٍ جَلَسَ عُمَرُ، فَحَمِدَ اللَّهَ أَبُو بَكْرٍ وَأَثْنَى عَلَيْهِ، وَقَالَ: أَلا مَنْ كَانَ يَعْبُدُ مُحَمَّدًا ﷺ فَإِنَّ مُحَمَّدًا قَدْ مَاتَ، وَمَنْ كَانَ يَعْبُدُ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ حَيٌّ لاَ يَمُوتُ، وَقَالَ: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ۝٣٠﴾ [الزمر: ٣٠]، وَقَالَ: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ۚ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَـٰبِكُمْ ۚ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا ۗ وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّـٰكِرِينَ ۝١٤٤﴾ [آل عمران: ١٤٤]، قَالَ: فَنَشَجَ النَّاسُ يَبْكُونَ. الحديث.

وروى البخاري (٤٤٥٤) عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ، أَنَّ أَبَا بَكْرٍ خَرَجَ وَعُمَرُ بْنُ الخَطَّابِ يُكَلِّمُ النَّاسَ فَقَالَ: اجْلِسْ يَا عُمَرُ، فَأَبَى عُمَرُ أَنْ يَجْلِسَ، فَأَقْبَلَ النَّاسُ إِلَيْهِ، وَتَرَكُوا عُمَرَ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: «أَمَّا بَعْدُ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ يَعْبُدُ مُحَمَّدًا ﷺ، فَإِنَّ مُحَمَّدًا قَدْ مَاتَ، وَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ يَعْبُدُ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ حَيٌّ لَا

يَمُوتُ، قَالَ اللَّهُ: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ﴾ إِلَى قَوْلِهِ ﴿ٱلشَّٰكِرِينَ ١٤٤﴾ [آل عمران: ١٤٤]، وَقَالَ: وَاللَّهِ لَكَأَنَّ النَّاسَ لَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ هَذِهِ الآيَةَ حَتَّى تَلَاهَا أَبُو بَكْرٍ، فَتَلَقَّاهَا مِنْهُ النَّاسُ كُلُّهُمْ، فَمَا أَسْمَعُ بَشَرًا مِنَ النَّاسِ إِلَّا يَتْلُوهَا».

والصحابة كثير منهم حفظة للقرآن، ومنهم الخلفاء الأربعة (٣)، لكن المصيبة لها دهشة وحيرة أنسَتْهُم بعض ما يحفظون، ولا سيما صدمة موت رسول الله ﷺ، وقام أبو بكر الصديق رضي الله تَعَالَى عنه بالثبات

---

(٣) قال الحافظ ابن حجر في «فتح الباري»(٥٠٠٣): وَقَدْ ذَكَرَ أَبُو عُبَيْدٍ الْقُرَّاءَ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ، فَعَدَّ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ الْخُلَفَاءَ الْأَرْبَعَةَ، وَطَلْحَةَ وَسَعْدًا وابن مَسْعُودٍ وَحُذَيْفَةَ وَسَالِمًا وَأَبَا هُرَيْرَةَ وَعَبْدَ اللَّهِ بْنَ السَّائِبِ وَالْعَبَادِلَةَ.

وَمِنَ النِّسَاءِ عَائِشَةَ وَحَفْصَةَ وَأُمَّ سَلَمَةَ.

وَلَكِنَّ بَعْضَ هَؤُلَاءِ إِنَّمَا أَكْمَلَهُ بَعْدَ النَّبِيِّ ﷺ.

وعد ابن أَبِي دَاوُدَ فِي كِتَابِ «الشَّرِيعَةِ» مِنَ الْمُهَاجِرِينَ أَيْضًا تَمِيمَ بْنَ أَوْسٍ الدَّارِيَّ وَعُقْبَةَ بْنَ عَامِرٍ، وَمِنَ الْأَنْصَارِ عُبَادَةَ بْنَ الصَّامِتِ وَمُعَاذًا الَّذِي يُكَنَّى أَبَا حَلِيمَةَ، وَمُجَمِّعَ بْنَ حَارِثَةَ وَفَضَالَةَ بْنَ عُبَيْدٍ وَمَسْلَمَةَ بْنَ مَخْلَدٍ وَغَيْرَهُمْ، وَصَرَّحَ بِأَنَّ بَعْضَهُمْ إِنَّمَا جَمَعَهُ بَعْدَ النَّبِيِّ ﷺ، وَمِمَّنْ جَمَعَهُ أَيْضًا أَبُو مُوسَى الْأَشْعَرِيُّ ذَكَرَهُ أَبُو عَمْرٍو الدَّانِيُّ، وَعَدَّ بَعْضُ الْمُتَأَخِّرِينَ مِنَ الْقُرَّاءِ عَمْرَو بْنَ الْعَاصِ وَسَعْدَ بْنَ عَبَّادٍ وَأُمَّ وَرَقَةَ.

والتثبيت، مع أنه يحب النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وعلى آله وَسَلَّمَ أكثر من ولده وأهله وماله، بل وأكثر من نفسه، لكنه الثبات في هذه المواقف الشديدة؛ ولأن قلبه متعلق بالله سُبحَانَهُ.

فما أشد حاجتنا إلى أن نقوي إيماننا وعقيدتنا؛ حتى تتعلق قلوبنا بالله ربِّنَا ﷻ!

إن الذي يعلق قلبه بالله ﷻ يكون نَصْب عينيه:

طاعة الله، ورضا ربَّه سُبحَانَهُ، والاستعداد للقائه.

والناس صنفان: إما شقي أو سعيد؛ لأنه ليس هناك صنف ثالث، وفي الآخرة إما جنة أو نار ما فيه طريق ثالث، قال ﷻ: ﴿وَتُنذِرَ يَوْمَ ٱلْجَمْعِ لَا رَيْبَ فِيهِ ۚ فَرِيقٌ فِى ٱلْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِى ٱلسَّعِيرِ ﴿٧﴾﴾ [الشورى: ٧]، وقال سُبحَانَهُ: ﴿ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌۢ بَيْنَكُمْ﴾ إلى أن قال: ﴿وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٌ ۚ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴿٢٠﴾﴾ [الحديد: ٢٠].

فالناس صنفان: إما شقي أو سعيد، وإما من أهل الجنة أو من أهل النار، أعاذني الله وإياكن من النار.

فإذا قوَّينا إيماننا بالله وأقبلنا على طاعته، تعلقت قلوبنا به سُبحَانَهُ، وتذهب التفكيرات التافهة، ويزول شتات الذهن وتفرُّقه، ويذهب الضياع؛ لأن القلبَ معلَّق بالله ﷻ، (والقلب الفارغ يتخطفه الشيطان)، كما قال والدي رحمه الله في « شريط الأمان من مكائد الشيطان».

فالقلب الفارغ عن الروح الإيماني يجد الشيطان له فرصة.

فنافسي في القُرب من الله تَعَالَى؛ ليقوى إيمانُكِ ويتعلق قلبك بالله سبحانه، وأكثري من ذكر الله، وتحصني من الشيطان الرجيم؛ حتى لا يتخطفك ذلك العدو، أشد الأعداء: ﴿إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لَكُمۡ عَدُوّٞ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّاۚ إِنَّمَا يَدۡعُواْ حِزۡبَهُۥ لِيَكُونُواْ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ٦﴾ [فاطر: ٦].

واحرصي على العلم النافع؛ ليكون نورًا لك في حياتك وبصيرة، فيحجزك عن الفتن والضلالات، وعن ارتكاب الشركيات، ويقيكِ سوء الإرادات، ويحفظك عن الشر والجهالات، الله ﷻ يقول: ﴿هُوَ ٱلَّذِي يُنَزِّلُ عَلَىٰ عَبۡدِهِۦٓ

ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ لِّيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ بِكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ۝٩﴾ [الحديد: ٩].

(والتعلق يكون بالقلب، ويكون بالفعل، ويكون بهما جميعا) (٤).

أما تعلق القلب فهذا كمن يتعلق قلبه بغير الله يرجوه ويخافه.

وتعلق بالفعل، كتعليق التمائم على البدن.

وقد يكون بالأمرين معًا، التعلق القلبي والبدني.

إنه إذا تعلق القلب بالله تتْبَعه الجوارح، فإن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم يقول: «أَلا وَإِنَّ فِي الجَسَدِ مُضْغَةً: إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الجَسَدُ كُلُّهُ، أَلَا وَهِيَ القَلْبُ» متفق عليه البخاري (٥٢)، ومسلم (١٥٩٩) عن النعمان بن بشير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

إن تعلق القلب بالله راحة؛ لأنه إذا تعلق قلبه بالله وخافه ورجاه استسلم لأمر الله، ﴿وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ۝٣١﴾

(٤) «حاشية كتاب التوحيد»(٨٤)لابن القاسم.

[يونس: ٣١]، يكل أموره إلى خالقه ورازقه ومالكه ومدبر أموره، استسلام وانقياد، دائمًا في حمدٍ وشكرٍ لله، ثبتني الله وإياكن.

إن الابتلاءات والمحن محيطة من جميع الجوانب؛ لأن هذه الدار دار ابتلاءات، فإذا علَّقَ قلبه بالله سلَّم أموره لربه سُبحَانَهُ في السراء والضراء، في البأساء والرخاء، وربنا ﷻ يقول: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ ۗ مَا كَانَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٨﴾﴾ [القصص: ٦٨]، ويقول سبحانه: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا ﴿٣٦﴾﴾ [الأحزاب: ٣٦].

إن معنى تعلق القلب بالله سُبحَانَهُ: التوكل على الله سُبحَانَهُ في جلب المنافع ودفع المضار، فلا يلجأ إلى غير ربه، وقد قال الله ﷻ: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾﴾ [الأنفال: ٢]، ولا إيمان لمن لا توكل له على ربه سُبحَانَهُ.

ففرِّغي قلبَك لله، وأحييه بطاعة الله، وحافظي على عقيدَتِكِ، وكوني متوكِّلةً على ربِّكِ، فلا تلتفتي إلى أحدٍ سواه ﷻ، ﴿مَّا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلۡبَيۡنِ فِي جَوۡفِهِۦۚ﴾[الأحزاب: ٤].

﴿رَّبَّنَا عَلَيۡكَ تَوَكَّلۡنَا وَإِلَيۡكَ أَنَبۡنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ ۝٤﴾[الممتحنة: ٤].

وأسأل الله ﷻ الثبات لي ولكُنَّ في الدنيا والآخرة.

والحمد لله رب العالمين.

تم نشر هذه المحاضرة ولله الحمد والمنة.

يوم السبت الموافق ١٨/ من شهر صفر/ لعام ١٤٤٨ للهجرة النبوية

على صاحبها الصلاة والسلام.